

الأدب التفاعلي نحو أفق جديد لتلقي الأدب

Interactive literature towards a new horizon to receive literature

نرجس بخوش^{1*}، آمال لواتي²¹ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)، nerdjes.bekhouche7@gmail.com² جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)، Louati.amel@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ القبول: 2021/12/09

تاريخ الاستلام: 2021/09/20

ملخص: ثمة علاقة بين الأدب والتكنولوجيا يفرضها التزايد الواسع لتأثير هذه الأخيرة في الآداب بأشكالها المختلفة، وعلى الرغم من أن في كل أدبٍ عظيمٍ عناصر ثابتة تتحدّى ظروف الزمان والمكان، ولا تؤثر فيها الأحداث الخارجية العارضة تأثيراً جوهرياً، تبقى الثورة التكنولوجية وعلاقتها بالإنتاج الأدبي موضوعاً من موضوعات الساعة، والتي ولدت أنماطاً أدبيةً جديدة، منها الأدب الرقمي الذي يستدعي الوقوف على علاقة الكتابة الأدبية بالتكنولوجيا.

الكلمات المفتاحية: الأدب الرقمي،. التفاعلي،. الجمالية،. التلقي،. الأدب.

Abstract:

There is a relationship between literature and technology imposed by the widespread increase of the influence of the latter in literature in its various forms, and although in every great literature there are fixed elements that challenge the conditions of time and space, and the external external events do not affect them substantially, the technological revolution remains related to literary production as a topic of the hour, Which generated new literary patterns, including digital literature, which calls for an understanding of the relationship of literary writing to technology.

Keywords: digital ; interactive ; aesthetic ; Receive ; literature

1. مقدمة:

لا شك أنَّ لكل عصرٍ وسائله الخاصة وأدواته التي يستعملها للتعبير عن أفكاره و رؤاه المختلفة، فكلُّما تطور الفكر البشري وتطورت آليات تفكيره تغيَّرت أشكال تعبيره، ومن ثَمَّ تغيَّرت إدراكاته للأشياء والحياة والعالم⁽¹⁾ وقد شهدت وسائل الاتصال تطوراً هائلاً وكذا الوسائط الرقمية المختلفة والتي مكَّنت الفرد من خدماتٍ سريعةٍ وبوفرةٍ بالغة، انعكست تجربة هذا التَّحلي المغاير على صورة الأدب وقراءته⁽²⁾ ففتح عن التلاحق بين الأدب والتكنولوجيا نتائجٌ أدبيَّةٍ جديدة، اتَّسم بالخروج عن المألوف باستحداث مقاييس فنيَّةٍ وأخرى تكنولوجيَّةٍ بأسلوبٍ لم يعهده المتلقي إنَّه الأدب الرقمي أو التفاعلي أو الإلكتروني أو الشبكي ... الخ، والذي حوَّلت فيه الآلة الكلمات المكتوبة بالصيغة الخطيَّة إلى أشكال وصور مرئيَّةٍ منفتحةً بذلك على فنون الأنيميشن والجرافيكس والصورة والحركة والصوت والموسيقى والإخراج السينمائي والبرمجة باستعمال الحاسوب مما يجعلنا ندعن إلى القول بأنَّه النموذج الأدبي المعبر عن العصر الرقمي التكنولوجي خير تعبيرٍ؛ بل هو نتاج هذا العصر وثمره فكر مبدعيه.

وفي رحاب هذه النَّقطة النوعيَّة نتساءل عن ماهية هذا الأدب؟ وطبيعة العلاقة التي تحدث بين مبدعه ومتلقيه، وخصائصه، ودور النصوص الأدبيَّة في تحقيق الاستمتاع الأدبي للقارئ، وإشكاليَّة تجنيسه، وموقف النقاد منه؟.

1. مفهوم الأدب الرقمي

لقد أسهم التطور التكنولوجي في بروز آلياتٍ ووسائلٍ لم يكن بالوسع تحقيقها سابقاً إلا من خلال هذا التلاحق الحاصل بين الأدب والرقمية والذي يعدُّ صرحاً ثقافياً أنتج لنا نوعاً جديداً من الأدب يدعى "

(1) كرام، زهور، (2009)، ص 2.

(2) المرجع نفسه، ص 19.

الأدب الرقمي أو التفاعلي أو الشبكي أو المترابط " الذي يتم في علاقة وظيفية مع التكنولوجيا الحديثة مقترحاً رؤى جديدة في إدراك العالم"⁽¹⁾.

ففي أوروبا يتم توظيف مصطلح (الرقمي / numerique)، (التفاعلي / interactif)، وفي أمريكا يتم استعمال مصطلح (النص المترابط / hypertext)، أمّا في فرنسا ابتدئ باستعمال مصطلح (الأدب المعلوماتي / informatique) باعتباره الجامع لمختلف الممارسات التي تحققت من خلال علاقة الأدب بالحاسوب والمعلوماتيات، حيث عقد مؤتمر باريس سنة 1994 تحت عنوان (الأدب والمعلومات) لدراسة هذه العلاقة، ليظهر سنة 2006 مصطلح جديد ألا وهو الأدب الرقمي litterature numerique.

فالأدب الرقمي الذي يستعمل في المدرستين الفرنسية والإنجليزية، وصفه بالرقمية يعود الى أنّ الرقمية هي الطريقة الجديدة في عرض الأدب من خلال النظام الرقمي الثنائي (1/0) والذي يقوم على جهاز الحاسوب، وأمّا **الأدب التفاعلي** فيركّز على خاصية التفاعل والتبادل المتعلّق بنظام إلكتروني، اتّصالي بحيث يكون الجواب فيه مباشراً ومتواصلاً من خلال الحاسوب الذي يحقّق التفاعل في أقصى درجاته ومستوياته بين النص وعلاماته بعضها ببعض (اللغة، الصورة، الصوت، الحركة سواء كانت متّصلة أو منفصلة، وبين العلامات بعضها ببعض لكونها مترابطة)، أمّا **المترابط** فهو يركز على تقنية الترابط التي تنظّم النص الأدبي بناء على ما تقدّمه المعلومات من روابط يجمع بينها متيحاً بذلك للمستخدم أو المتلقي الانتقال من نصٍ لآخر حسب حاجته.

وقد اجتهد النقاد العرب في محاولة ضبط مفهوم هذا الإبداع الأدبي الجديد، فعرفه سعيد يقطين بأنه: "لا يتخلق إبداعاً وتلقياً إلاّ من خلال الحاسوب الذي تحقّق نتيجة التطور الحاصل على مستوى تكنولوجيا الإعلام والاتصال"⁽²⁾ وقد أطلق عليه مصطلح "الأدب الجديد".

(1) كرام، زهور، (2009)، ص ن .

(2) يقطين، سعيد، (2008)، ص 180 .

في حين عرّفته فاطمة البريكي في كتابها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" وقد كان لها فضل سبق في استعمالها لمصطلح (الأدب التفاعلي) بقولها: "إنّه جنسٌ أدبيٌّ جديدٌ ولد في رحم التكنولوجيا لذلك يوصف بالأدب التكنولوجي أو الأدب الإلكتروني ويمكن أن نطلق عليه اسم (التكنو-أدبي، إذ ما كان له أن يتأتّى. بعيداً عن التكنولوجيا التي توفر له البرامج المخصصة (software) لكتابته، وفي حالة عدم الاستعانة بهذه البرامج، فلا بد من الاستعانة بالخصائص التي تتيحها كتابة نصٍ إلكترونيٍّ قائمٍ على الروابط أو الوصلات على أقل تقدير"⁽¹⁾.

ومن أثر استعمال مصطلح الأدب التفاعلي "عمر الزرفاوي" الذي يعده "الجنس المتخلّق في رحم التّقنية قوامه التّفاعل والتّرابط يستثمر في إمكانات التكنولوجيا الحديثة، ويشغل على تقنية النص المترابط ويوظّف مختلف الأشكال المتعدّدة والتي تساهم في إنتاجه وإخراجه"⁽²⁾.
بناءً عليه، فإنّ الأدب التّفاعلي يعتمد على الكلمة إضافةً إلى مؤثّراتٍ صوتيّة وبصريّة وسمعيّة، ويرتكز في عمله على الوسيط الناقل -الحاسوب- في حين أنّ تفاعليّته تكمن في العناصر البنائيّة من جهةٍ ومن التّفاعل الذي يديه متلقّيه من جهةٍ أخرى .

في حين نجد "زهور كرام" جمعت بين التسميات السابقة وجعلتها مفهوماً واحداً فتوكّدت: "أنّ الأدب الرقمي أو المترابط أو التفاعلي الذي يتم في علاقة وظيفيّة مع التكنولوجيا الحديثة، لا شك أنّه يقترح رؤيةً جديدةً في إدراك العالم"⁽³⁾، وما الأدب الرقمي إلّا مرآة عاكسةً للحالة التي وصل إليها الإنسان فهو "انتقالٌ سياقيٌّ وبنويٌّ ولغويٌّ وأسلوبيّ في الظاهرة الأدبيّة"⁽⁴⁾ ويكون ذلك جلياً عند أوّل متغيّرٍ يصادفنا عند تأمّلنا لهذه التجربة الأدبيّة هو الرقمي باعتباره وسائط تكنولوجيّة وإلكترونيّة بها يتشكّل النص الأدبي⁽¹⁾.

(1) البريكي، فاطمة، (2006)، ص73.

(2) الزرفاوي، عمر، (د.ت)، ص 194.

(3) كرام، زهور، (2009)، ص 22 .

(4) المرجع نفسه، ص 34 .

(1) كرام، زهور، (2009)، ص 34 .

وهناك من يطلق عليه الأدب "السيبرنطقي" معتبرا -السيبرنطيقا- " العلم الذي يوجّه البحث في قواعد التّواصل والتّطبيقات التّقنية المرتبطة بها، كما ارتبطت -السيبرنطيقا- أحيانا بتعريف الذكاء وقياسه وشرح وظائف المخ وصناعة آلة التفكير، وتتطابق مع مشروع للمعرفة يتمحور حول المراقبة الفعّالة، والتطبيق النّاجح ممّا جعلها ذات جانبٍ تقنيٍّ أساسا" (2). ويتجلى هذا في التّرابط الحاصل بين مكّونات العمل الإبداعي التي تبدو منظّمة على اختلافها، ورغم ذلك " فقد اندمجت مع أنساق التعبير الرمزيّة الأخرى من أشكالٍ وأصوات، ولا بدّ أن نضيف لمسة الذكاء الاصطناعي في تواصل الإنسان في حوار مع الآلة وتواصل الآلة في تفاعلها مع غيرها من الآلات" (3).

وعليه، فالنص السيبرنطقي هو النص الأدبي الذي يُعالج تقنياً باستخدام الوسائط المختلفة والتي تتحكّم في تركيبته، فحين تنتظم اللّغة وتتعلق وتشابك يحدث نوعٌ من التّعاقبيّة الافتراضيّة، ليظهر مصطلح (النص المتفرّع) على يد "ثيودور نيلسون" عام 1965م، وعرفه بأنّه: "النص الذي يعتمد أسلوب الكتابة غير التّعاقبيّة" (4)، ثم يتفرّع عنه مفهوم آخر يعبر عن مرحلة متقدمة منه هو (النص الشبكي) والذي طرح فكرته هو إيسن آرسيت (Epson Arsit) في قصيدته "النص المتاهة" (5)، وهذه النوعية من النصوص تستدعي قراءة تفاعليّة متأنيّة من قبل المتلقي .

وفي ظل هذا التشعّب المصطلحي فإنّي أرى أنّ مصطلح "الأدب الرقمي التّفاعلي" هو الأقدر على حمل خصوصيّة هذا النوع من الكتابة التي تركز على اللّغة الرقميّة المنبثقة من البرمجيّات الحاسوبيّة والتي بواسطتها يُبنى النص الرقمي، وهو رؤية جديدة للنص الأدبي وللإنسان والكون وللأدب بشكل عام، أساسها التّواصل الإنساني والتّفاعل الإبداعي الخلاق وعماده الرّبط بين ما هو إنسانيّ وبين ما هو تقنيّ وهو ناتجٌ عن إفرازات ثورة المعلوماتيّة الحديثة، واعتبر هذا الوسيط الجديد الذي أدخل اختلافات جذريّة على الأدب

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) علي، نبيل وحجازي، نادية، (2005)، ص 309.

(4) لبريكي، فاطمة، (2006)، ص 26.

(5) المرجع نفسه، ص 28.

بما يوفّره من تقنيات قائمة على الملتيميديا multi - media من صورةٍ وصوتٍ ومؤثراتٍ أخرى جعلت من الأدب إنتاجاً متشعباً، ولعل تركيزي على صفة التفاعلية والصاقها بالأدب الإلكتروني يعود الى كونها جوهر النص الأدبي الرقمي الذي لا يتحقق إلا بوجود ميزة التفاعل، إضافة إلى كونه يضعنا أمام ثنائية المبدع والمتلقي، والتفاعل الحاصل بينهما، فالمتلقي (القارئ التفاعلي) يؤدي دوره في العملية الإنتاجية للنص الرقمي التفاعلي، فهو منتجٌ مكتملٌ متفاعلٌ بامتلاكه لآليات القراءة الفاعلة.

ويمكن القول إنّ الإرهاسات الأولى لظهور الأدب الرقمي التفاعلي والنص المترابط، ترجع إلى سنة 1945م مجسّدةً في دراسة قدّمها فانيفار بوش (Vanivare Boushe)، وهو رائدٌ في الإعلاميات والحساب الآلي، موسومة (كما يمكن أن تفكّر)، تحدّث فيها عن طريقة مستحدثة لاستثمار المعلومات، وكيفية تخزين الوثائق والنصوص كيفما كانت واستدعائها بطريقة سهلة وسريعة، بواسطة ربطها ببعضها البعض، فاخترع نظام (Memex)، وهو عبارة عن أداة لتخزين المواد والنصوص مع إمكانيّة ربطها آلياً، مستحدثاً مفهومين جديدين هما (العقدة) و(الرابط)، وهذه الأفكار هي ما مهّدت لظهور أسلوبٍ جديدٍ تمثّل في الربط بين المعطيات الإلكترونية ليتم استدعاؤها بأبسط طريقة وأسهلها⁽¹⁾.

ويرجع ظهور أوّل نصٍ مترابطٍ إلى سنة 1986م، حيث كتب الروائي "مايكل جويس" روايته (الظهيرة، قصة) باللغة الإنجليزية، وثاني محاولة ظهرت سنة 1996م، لروائتين تفاعليتين فرنسيتين على قرص مضغوط -لا يشترط فيها الاتصال بالإنترنت- الأولى بعنوان (عشرين في المائة حب زيادة) لفرانسوا كولون، والثانية بعنوان (الزمن القدر) لفرانك دوفور، أمّا الشعر التفاعلي فرائده بلا منازع هو "روبرت كندل" الذي بدأ بكتابة القصائد التفاعلية في مطلع تسعينيات القرن الماضي.

أمّا فيما يخص الإبداعات التفاعلية في العالم العربي، فإنّها لم تحقّق تراكمًا يضاهي نظيرها الغربي، إذ لم يظهر أوّل نصٍ في هذا المجال إلا في عام 2001م، وبذلك فعمره لم يتجاوز عقداً ونصف، في حين تراكم نظيره الغربي أكثر من ستة عقودٍ من التجارب الإبداعية والكتابات النقدية، ومن أهم من خاضوا التجربة الأردني محمد سناجلة الذي أبدع أوّل روايةٍ عربيةٍ رقميةٍ تفاعليةٍ عنونتها (ظلال الواحد) سنة 2001م، ورواية

(1) يقطين، سعيد، (2008)، ص253.

(شات) سنة 2005م، ورواية (صقيع) سنة 2006م، إضافة إلى إبداعاتٍ نثريةٍ أخرى مثل: (مجنون الماء) للكاتب إدريس بلمليح، سنة 2004م، وقصة (احتمالات) للقصص المغربي محمد اشويكة سنة 2005م، و(محطات) سنة 2009م، وقصة (حفنات جمر) لإسماعيل البويحيوي بإخراج لبينة خمار، و(سويعة)، أمّا فيما يخص المسرحيّة فنذكر تجربة محمد حبيب (مقهى بغداد).

أمّا فيما يخص الشعر فنلمح تجربة الشاعر العراقي "مشتاق عباس معن" الملقّب بـ(كندل العربي)، فكان أوّل من خاض تجربتها الرقمية، حيث صدرت له سنة 2007م أوّل مجموعة مكوّنة من ستة نصوص شعرية بعنوان (تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق)، وقد ظهرت عبر أقراص مضغوطة، تضمّنت معطيات multi-media وتقنيّات النص المتفرّع عبر مختلف المؤثرات، يستطيع القارئ التبحّر فيها عبر النقر على أزرار مختلفة، والمميز في النصوص الشعرية أنّها عرضت بالأشكال الشعرية الثلاثة (عموديّة، حرة، قصيدة النثر)، هذا ويمكن ذكر تجارب الشاعر المغربي منعم الأزرق (أفق في ليل العمى) و(الخروج من رقيم البدن) و(شجر البوغان)...

2. خصائص الأدب الرقمي

إنّ أهم ما يميّز الثورة الرقمية تطور مفاهيم "الكتابة" و"القراءة" و"الإبداع" و"الأدب" بدخول "التفاعل" طرفا في العملية الأدبية بعد تحوّل الكتاب إلى وثيقة إلكترونية تفاعلية تضم إلى جانب الأشكال الخطيّة (نص، صورة...) أشكالاً حسيّةً وصوتيّةً متحرّكة، فما الذي ثبت وما الذي تغيّر في مفهوم الكتابة الأدبية عندما دخلت عليه التكنولوجيا آليّة في الكتابة وأصبح التفاعل الرقمي طرفاً في ثنائية الإبداع والتلقي؟ وإلى أي حدّ يمكن للأدب التفاعلي أن يشتغل على التخييل في الصور والرموز والإشارات؟

مما لاشك فيه أنّ الأدب الرقمي التفاعلي قد قدّم معايير جماليّة جديدة وخصائص لم تكن متاحة من قبل في النص الورقي، ومن أهم الخصائص التي ميّزت النص الرقمي التفاعلي ما يأتي⁽¹⁾:

- النص الرقمي أو "النص المتشعب" على حدّ تعبير عبير سلامة لا يعبر عن معانيه بالألفاظ فقط؛ بل يتيح إمكانيّات متعدّدة مثل: الجداول، والأصوات، والصور، والرموز، وتعرّفه عبير سلامة بأنّه: "النص الذي

(1) الخياري، حياة، (د.ت)، ص 261.

يستخدم في الإنترنت لجمع المعلومات النصية المترابطة، كجمع النص الكتابي بالرموز التوضيحية، الجداول، الخرائط، الصور الفوتوغرافية، الصوت، نصوص كتابية أخرى أشكال جرافكية⁽¹⁾.

- النص الإلكتروني تفاعلي: حيث يتم إنتاج ما لم ينتجه النص الورقي، إذ يستطيع المتصفح لاسيما المستعمل إدخال معلومات ضمن موقع أو منتدَى فيجيب النص المترابط بتقديم المعلومات التي أرادها في شكل تبادلٍ وتشاركي، ويعرّف الدكتور سعيد يقطين النص التفاعلي بقوله: "التفاعل في الإعلاميات بمثابة التبادل والاستجابة المزدوجة التي تتحقق بواسطة الإمكانيات التي يقدمها نظام الإعلاميات للمستعمل أو العكس"⁽²⁾.

- يفتح آفاقاً للمبدع لتقديم نصوصاً مختلفة وعرضها في أحد المواقع على الشبكة.
- يمنح للمتلقي/المستخدم فرصة الإحساس بأنه مالكٌ لكل ما يقدم على الشبكة بحكم أن الأدب التفاعلي لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص، وإنما يحوّل للمتلقي حقّ الإضافة والتعديل في النص الأصلي .
- الأدب التفاعلي يحرص على تقديم نص حيويّ تتحقّق فيه روح التفاعل من خلال تحرُّر المبدع من الآليّة التقليديّة الورقيّة، وإشراك المتلقي في بناء النص والإسهام فيه فهو يمثل قطب الرّحى، وهو ما بيّنه سعيد يقطين في قوله: "من المتلقي إلى المبحر المتفاعل"⁽³⁾.

- التأليف الجماعي للنص الرقمي التفاعلي.

7/ تعدّد الروابط التي بدورها تؤدّي إلى تعدّد النصوص حسب اختيارات المتلقين.

فهذه الخصائص قد تعتبر من المكاسب الفنيّة، غير أنّ المدافعين عن نجاعة الأدب التفاعلي كثيراً ما يغضون الطرف عن التحدّيات المطروحة أمام عمليّة القراءة والتأويل، وما يلزمها من تأمّلٍ وتأنٍّ وتدبُّر، فإلى أي حد تستطيع القراءة التفاعلية أن تفي بشروط القراءة النقديّة المتأنيّة القائمة على ضوابط علميّة ذات صلةٍ بآليات تأويل النصوص الأدبيّة؟.

(1) سلامة، عبير: النص المتشعب ومستقبل الرواية، نقلاً عن موقع: www.alimizher.com

(2) يقطين، سعيد: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، ص 10.

(3) المرجع نفسه، ص 9.

3. الأدب الرقمي والأجناس الأدبية

هناك من يرى أنَّ نظريَّة الأنواع الأدبيَّة لم تعد فاعلة، ذلك أنَّ ما كانت تفرضه من فصلٍ بين الأجناس لم يعد ممكن التصوُّر، نظراً لموجة التَّجريب الحاصلة في الأعمال الأدبيَّة التي اجتاحت العالم بأسره. وتوظيف الأدب الرقمي لإمكانات الوسائط المتعدَّدة يؤدِّي إلى صعوبة وضعه ضمن جنسٍ أدبيٍّ معيَّن، يقول ثائر العذاري: "غير أنَّ من المهم أن ننبِّه إلى أنَّ هذا الأمر يؤثِّر حلالاً في نظريَّة الأنواع الأدبيَّة ذاتها، ولا يعني تجريد الأدب الرقمي من أديبته"⁽¹⁾. ويذهب إلى أنَّه من المهم ملاحظة أنَّ الأدب والفن الفطري في فجر التاريخ الإنساني كانا يعملان معاً وفي مكانٍ واحد، فالكتابة الأولى كانت صورِيَّة والنقوش على جدران الكهوف كانت تمزج بين الصورة والكلمة المنظومة والمنثورة⁽²⁾، ويؤكد أنَّه وفي وقتنا الذي لعبت فيه التقنيَّة دوراً كبيراً في الحياة، فإنَّنا نجد أنفسنا في حاجةٍ إلى إعادة صياغةٍ لنظريَّة الأنواع الأدبيَّة، ليس فيما يتعلَّق بالأدب الرقمي فحسب؛ بل هناك أنواعٌ أدبيَّةٌ أخرى بحاجةٍ إلى تجنيس، حتى نتفادى تلك التَّسميات التي شاعت مثل (النص) أو (نصوص عابرة للأجناس) تعبيراً عن العجز على تصنيفها⁽³⁾، وعليه فقضية تجنيس الأدب الرقمي التفاعلي تطرح إشكالاً لطلما طرح قبلاً مع أنواع أدبيَّة أخرى لم تستوعبها نظريَّة الأنواع الأدبيَّة، فهل سيحسم هذا الإشكال أم سيبقى عالقاً؟.

وقد يقول قائل أنَّ الأديب الذي يكتب الأدب الرقمي لا بدَّ أن يجيد فن الموسيقى والرسم والنحت وغيرها، في حين ليس ذلك ضرورياً، فكما أنَّ الصورة والصوت عناصر مهمَّة في عمليَّة التَّخييل التي يمارسها الأديب، فإنَّه لا يحتاج إلى مهاراتٍ خاصَّةٍ لتجسيد تلك العناصر، إنَّما كل ما يحتاجه هو معرفة بعض البرامج الخاصة بمعالجة الصور والصوت، مثل: (adobe flash/photo shop/sound forge)، فهذه البرمجيات تعين الأديب في تجسيد ما يتخلَّل من وسائط متعدَّدة، دون أن يكون متخصصاً في الفن التشكيلي أو غيره، وهذا لا يمنع أن يكون على اطلاعٍ بها من ذلك عوالم المونتاج والسينما.

(1) العذاري، ثائر، (2008)، ص 63.

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

4. الموقف النقدي العربي من الكتابة الرقمية

شهد الأدب الرقمي تيارين مختلفين تياراً قابلاً له، وآخر رافضاً له، فأما الذين رحّبوا به واعتبروه ضرورة، فكان لاعتباراتٍ كثيرةٍ يمكن جملها فيما يأتي:

1/ أنَّ الأدب قد وُثِّق وثيقة تحالفٍ بينه وبين التكنولوجيا من خلال توظيف الوسائط المختلفة ويمكن اعتباره "الأنموذج الأدبي المعبر عن العصر الرقمي التكنولوجي خير تعبيرٍ، وهو الذي يصلح لأن يمثله أمام الأجيال اللاحقة بصفته نتاج هذا العصر وثمره فكر مبدعيه"⁽¹⁾.

2/ أنَّ التجربة العربية قد بيّنت أنَّ للأدب الرقمي الدور الذي لعبه كلٌّ من المبدع من جهةٍ والمتلقي المستخدم من جهةٍ أخرى، من خلال تفاعله في هيكله النص سواء قراءة أم تعليقاً؛ وبالتالي فقد كسر الأدب الرقمي "حالة الرتابة التي تصبغ النصوص الأدبية التقليدية وحرّرها من الجمود"⁽²⁾، وكان هذا من خلال مشاركة المتلقي في بناء النص، مما يؤدي للرفع من شأنه فيصبح في موضع ندية مع المبدع "الذي استأثر اهتمام النقاد حيناً طويلاً من الدهر في الأدب الورقي التقليدي، إلى أن بدأت صيحات الالتفات إلى المتلقي بالارتفاع، في حين أنَّ (الأدب التفاعلي) قام من البداية على مبدأ المساواة بين طرفي العملية الإبداعية (المبدع-المتلقي) في إنتاج الطرف الثالث (النص)"⁽³⁾.

وعليه، فقط اعتبر هذا الاتجاه المشاركة في إنتاج النص الأدبي (بين المبدع والمتلقي) إبداعاً غير محدودٍ، فهو يعطي قدراً من "الحيوية والحركة في التفاعل مع النصوص الأدبية على نحو غير متوفّر في الأدب التقليدي"⁽¹⁾.

أما التيار الآخر، فهو رافضٌ للأدب الرقمي رفضاً قاطعاً إن على مستوى التشكيل أو على مستوى الأداة، ويرجع موقفه إلى اعتباراتٍ عدّة أهمّها:

(1) كرام، زهور، (2009)، ص 129.

(2) المرجع نفسه، ص 130.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

(1) البريكي، فاطمة، (2006)، ص 130.

1/ أنَّ الأدب الرقمي هو الأدب العاجز الذي لا يعبر عن إبداعية المبدع، فهو يتكئ على التكنولوجيا ملء ذلك الفراغ، ويلجأ إليه كل من يفتقر إلى الموهبة والحس الإبداعي، مجسداً هذا النقص بالارتكاز على الوسائط التكنولوجية مستثمراً لخصائصها، يقول سعيد الوكيل: "إنَّ النوايا الطيبة لا تكفي لأن تصنع نوعاً أدبياً جديداً أقول هذا ليكون تعقياً مبدئياً - لا يخلو من مرارة - على ما دأبت عليه الصحافة العربية (المطبوعة والإلكترونية) في الفترة الأخيرة من مطالعتنا بالتبشير بميلاد أدبٍ عربيٍّ جديد، وبداية عصر الواقعية والإلكترونية"⁽²⁾، وهو ما ذهب إليه حسين سليمان متحدثاً عن محمد سناجلة والكتابة الرقمية وتغييب مفهوم الأدب مؤكداً أنَّ "الكلمة المقروءة وفي أضعف حالاتها (المسموعة منها) هي ما يقوم عليها الأدب، الأدب ابن الميثولوجيا، السحر الذي قام في الأصل على الكلمة، وليس على الكلمة والصورة كما في كتب الأطفال التي تساعد على فهم الكلمة عن طريق استخدام الصورة"⁽³⁾، في حين يشير محمد سناجلة إلى أنَّه في ظل وجود "مجتمعٍ جديدٍ وإنسانٍ جديدٍ وأخلاقٍ جديدةٍ وطرق تواصلٍ واتصالٍ مختلفةٍ وجديدةٍ كل الجدة، فإنه لا بدَّ من وجود أساليب كتابيةٍ وإبداعيةٍ جديدةٍ ومختلفةٍ لتعبر عن هذا المجتمع، ومن هنا جاء أدب الواقعية الرقمية الذي أرى أنَّه الوعاء الأنسب للتعبير والقول والفعل الإبداعي"⁽⁴⁾.

2/ أنَّ الأدب الرقمي قضى على فكرة الأحادية المركزية، أي الملكية الخاصة للمبدع وهو ما رفضه بعض النقاد، إذ اعتبروه - الأدب الرقمي - دخيلاً على العملية الإبداعية، رافضين فكرة العمل الجماعي الرقمي، من خلال مشاركة المتلقين في إنتاج هذا النص الأدبي حيث رأوا "في ذلك خروجاً على الأعراف الإبداعية المتأصلة في جميع الثقافات والتي تتمحور حول المبدع الواحد والمالك الواحد للنص"⁽¹⁾ واصفين هذا الأدب بأنه: "الفقاعات التي سرعان ما تموت ولا تصلح للبقاء أو أنَّه زوبعةٌ في فئجان حركتها الانبهار في عالم التكنولوجيا"⁽²⁾.

(2) الوكيل، سعيد، خرافة اسمها الواقعية الإلكترونية، (صحيفة أخبار الأدب)، نقلا عن موقع: www.freearabic.com

(3) سلمان، الحسين: العصر الرقمي يحدث ثورة شاملة تنتج أدبا جديدا، نقلا عن موقع: www.freearabic.com

(4) المرجع نفسه.

(1) البريكي، فاطمة، (2006)، ص 131 .

(2) جلولي، العيد، (2011)، ص 242.

وهكذا ظل التيار الرفض للأدب الرقمي يرى أنَّ النص مقدَّس وكل زيادةٍ أو نقصانٍ فيه هي تشويهٌ له وانتهاكٌ لهيكله .

وتبقى لكل مرحلة وسائلها التعبيرية ولغتها الخاصة، فتطور وسائل التواصل والتعبير خلق مجالات بحثية لها ارتباط وثيق بالبيئة الرقمية، وعلى رأس هذه المجالات، مجال الأدب الرقمي الذي عمل جاهداً على "تثبيت نفسه وسط حماس المشتغلين به والمنافحين عنه"⁽³⁾ من نقاد وقراء .

4. خاتمة:

ختاماً، فإنَّه في خضم التحول الثقافي الذي تشهده الساحة الأدبية والنقدية، سطع إبداعٌ أدبيٌّ جديدٌ سمي "الأدب الرقمي"، يجمع بين الأدبية والإلكترونية منتجاً أشكالاً كتابيةً وقرائيةً جديدةً هي نصوصٌ رقميةٌ متجاوزةً الآلية التقليدية في تقديم النص الأدبي، والأدباء مطالبون بأن يكتبوا بأدوات العصر، وأن يعبروا عن إنسان هذا العصر في كينونته التكنولوجية وفي عالمه الافتراضي، وتجاهل المتغير التكنولوجي الجديد قد يؤدي إلى تهميش الأدب في عالم أصبحت التكنولوجية هي الهواء التي يتنفسه، وبناء على ما تقدم فإنَّ البحث قد خلص إلى جملة من النتائج هي حسب الآتي:

- يعد النص الأدبي الرقمي التفاعلي شكلاً تعبيرياً جديداً يعتمد في بناؤه على وسائط متعدّدة مثل الصورة والصوت والحركة، إضافةً إلى الكلمة، فيجمع بذلك بين الأدبية والإلكترونية التي قدّمت معايير جماليةً جديدةً وخصائص لم تكن متاحةً من قبل في النص الورقي.

- ينمّح النص الأدبي الرقمي التفاعلي للقارئ سلطة أكبر في إعادة إنتاج النص، ما يساهم في تفعيل خاصية التلقي، وتعدّد القراءات.

- انقسمت الساحة الأدبية في موقفها من الأدب الرقمي التفاعلي، قسمين اثنين، أحدهما مرحّب به، والثاني رافضٌ له، وقد قدم الفريقان مسوّغات الرضا والقبول، لكن يبقى لكل عصر لغته الخاصة ووسائله التي تعبّر عن خصوصياته.

(3) يقطين، سعيد، (2005)، ص 31 .

- تبقى الدعوى إلى إعادة النظر في صياغة نظرية للأجناس الأدبية قائمة حتى يمكنها استيعاب الأنواع الأدبية التي هي بحاجة إلى التجنيس، تفادياً لتسميات مثل نصوص عابرة للأجناس.

5. قائمة المراجع:

5. 1. المؤلفات:

- 1- البريكي، فاطمة، (2006)، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب.
- 2- علي، نبيل وحجازي، نادية، (2005)، الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة، الكويت.
- 3- كرام، زهور، (2009)، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 4- يقطين، سعيد، (2008)، النص المترابط مستقبل الثقافة العربية - نحو كتابة عربية رقمية - المركز الثقافي العربي، المغرب.
- 5- يقطين، سعيد، (2005)، من النص إلى النص المترابط - مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي -، المركز الثقافي العربي، المغرب.

5. 2. المجالات

- 6- الزرفاوي، عمر، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ع56، أكتوبر.
- 7- جلولي، العيد، (2011)، نحو أدب تفاعلي للأطفال، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع10.
- 8- العذاري، ثائر، (2008)، الأدب الرقمي والوعي الجمالي العربي: تبايرح رقمية نموذجاً، مجلة مقاربات، ع1.

5. 3. المقالات

- 9- سلامة، عبير: النص المتشعب ومستقبل الرواية.
- 10- الوكيل، سعيد: خرافة اسمها الواقعية الإلكترونية، (صحيفة أخبار الأدب).

11- سلمان، الحسين: العصر الرقمي يحدث ثورة شاملة تنتج أدبا جديدا، (مجلة العربي الحر).

5. 4. المواقع الإلكترونية

12- www.alimizher.com

13- www.freearabic.com

14- www.freearabic.com